الفنان التشكيلي الراحل أمين الدمناتي:

الافتتان بجمالية التراث المغربي..

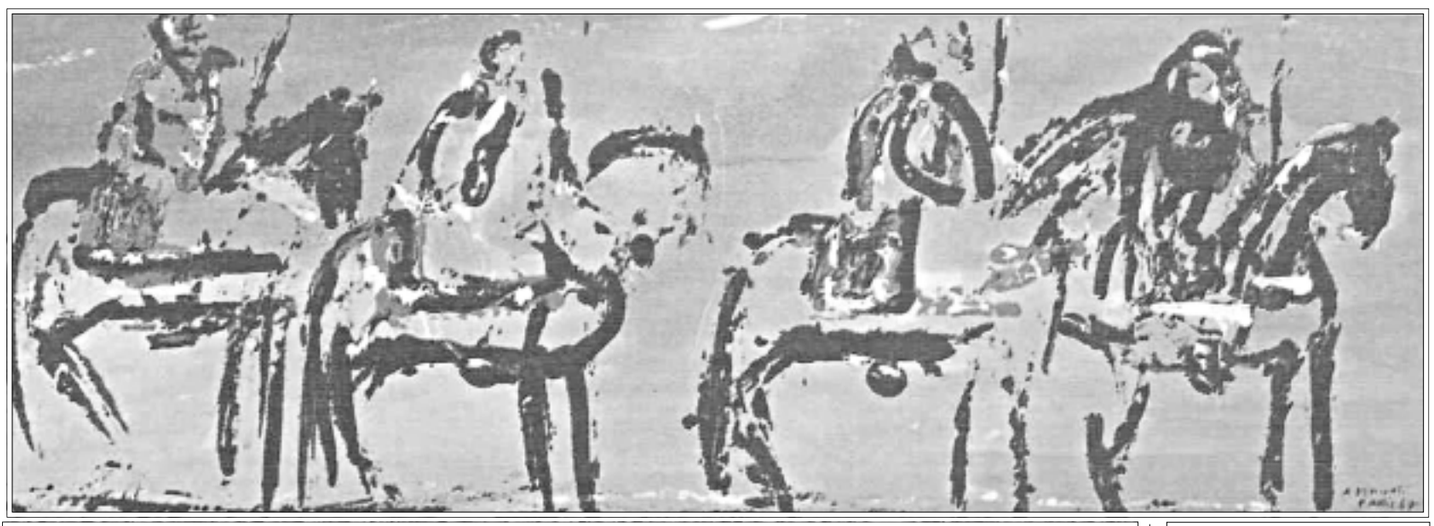

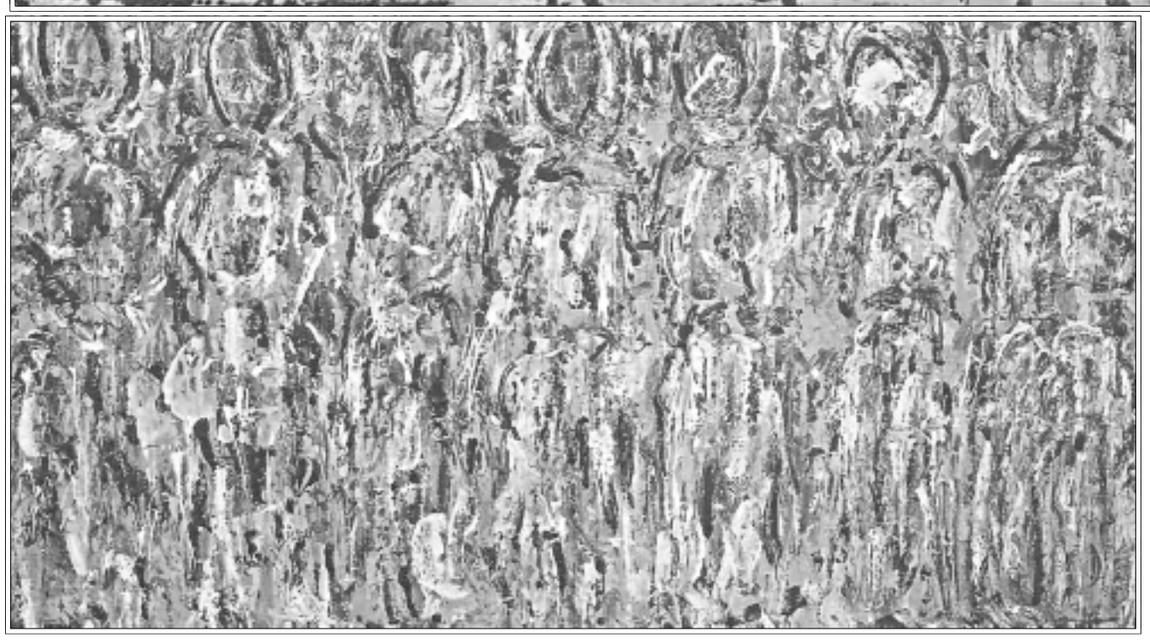

عملان للفنان امين الدمناتي (القدس العربي)

ابراهيم الحيسن*

عتبات الابداع..

■ ازداد الفنان التشكيلي الراحل أمين الدمناتي يوم 15 كانون الثاني (يناير) 1942 بمراكش التي تلقى بها تكوينه الأولي، قبل أن يتجه الى الدار البيضاء لولوج مدرسة الفنون التطبيقية وبعدها الى باريس، وتحديدا مدرسة المهن الفنية فضلا عن مدرسة اللوفر/ تخصص ديكور..

أقام العديد من المعارض التشكيلية الفردية وشارك في أخرى جماعية، أبرزها وطنيا بمراكش والبيضاء والرباط وفاس، ودوليا بفرنسا والسويد..

بعد هذه الرحلة التكوينية الأكاديمية والجولات الفنية الغنية التي قام بها، عاد الفنان أمين الدمناتي الى بلاده المغرب، حيث تفرغ لاحتراف الفن وظل طوال تجربته الصباغية وفيا لمدينة دمنات التي يحمل اسمها يرسم منازلها الطينية الحمراء ودروبها ونساءها ورجالها ومختلف الحرف والعادات والتقاليد والرقصات الشعبية التي تميز ذاكرة أهلها الفولكلورية..

ومن ذلك الدقة الدمناتية التي يرجع أصلها الى منطقة تارودانت كان نقلها عمال خزف تغمرين، وذلك خلال القرن التاسع عشر.

ويعود الفضل في انتشار هذا اللون الغنائي الشعبي الدمناتي الى صناع الجلود الذين كانوا يمارسونه بشكل طقوسي احياء لليلة عاشوراء..

هكذا بدت دمنات في التفكير الجمالي للفنان أمين الدمناتي.. وهكذا ظلت مدينة حالمة تسكن قلبه وتستقر داخل وجدانه، فهي مدينة عريقة توجد بالسفح الشمالي الغربي بالأطلس الكبير على بعد 120 كلم شرق مدينة مراكش. كما تقع وسط منخفض معروف بغابته الكثيفة التي تميزها أشجار الزيتون على طول واد امهاصر أحد الروافد الأساسية لواد تاساوت..

سؤال التراث..

اهتم الفنان أمين الدمناتي بالموروث الفني المغربي من فولكلور شعبي ورشم وزراب مزركشة ومختلف المشغولات والقطع التراثية التي أبدعتها يد الصانع التقليدي. كما تخصص في رسم الخيول والفرسان التي كان ينقلها على مسطح اللوحة بأسلوب اختزالي تقل فيه التفاصيل والجزئيات محتفظا في ذلك بحركات الخيول وجمالية أجسامها..

من عمق قماشاته الصباغية، ينبعث نفس صوفي يعكس البعد الجدي في مجموعة من لوحاته والتزامه بمختلف القضايا العربية والقومية، فضلا عن اهتمامه المتزايد بعادات وأعراف بلاده التي كان يجسدها بألوان زاهية تمثل في تنوعها وتعددها نوعا من الانتشاء والاحتفال بالذات..

انه بهذا الاشتغال ظل يثير سؤال التراث والهوية والانتماء، خصوصا في فترة ابداعية شديدة الحساسية شهدت ميلاد الكثير من التيارات الأوروبية الجارفة التي أتت على كل الابداعات الشعبية المخصوصة بالمحلية.. ومن ثم، كان انتباه الفنان الدمناتي مبكرا بأهمية التراث الوطني حيث عاد بابداعه الى الجذور والبدايات التي ترسم الشخصية المغربية بمختلف تمظهراتها وملامحها البادية في اللباس التقليدي والعوائد الشعبية والاحتفاليات الاجتماعية ومظاهر الفولكلور الشعبي.. وحركية الأسواق والحواري الشعبية وغيرها..

واضافة الى ذلك، ركز الفنان الدمناتي في لوحاته على المشاهد اليومية وحياة الناس، وكان ينقلها بأسلوب صباغي تسجيلي سعيا منه الى تأكيد الذات وتمييز الشخصية الوطنية ومحتفظا في الآن نفسه للعمل التشكيلي بكل مقوماته الفنية والجمالية..

بهذا أكد امتلاكه لناصية التعبير الصباغي من خلال قدرة تحكمه في استيعاب ما يراه وتبسيطه واختصاره وفقا لمهارة يدوية نادرة..

هو هكذا ظل رساما مبدعا.. ومبدعا رساما مجد للحياة كثيرا ولم يكن يكترث في تصاويره بالشكل التشخيصي في منحاه الأكاديمي الصرف، بقدر ما كان يهتم فيها بأقل القسمات الممكنة.. لذا اعتبر مصورا اقلاليا ـ Minimaliste، بصيغة أخرى، تكمن قوته التعبيرية في بساطته وابداعه المختزل المبني على ليونة الأشكال وشاعرية الخطوط وبلاغة التصوير..

ألوانه كثيرة ومتعددة تعكس شساعة خياله وشحذ فكره المرئي، الا أن أبرزها يظل من دون منازع الأحمر القاني والبني ومختلف الألوان الترابية المعادلة له، فضلا عن البرتقالي الطيار والأصفر الساجي.. وغيرها كثير..

فهذه الاختيارات الطيفية ساعدت الفنان الدمناتي كثيرا على تملك أسلوبه الصباغي وفهم أسراره وتحولاته القزحية التي تذوب بابداع وخفة فوق السند: ورق، قماش، خشب.. الأمر الذي يعني أن صيغة أعماله التصويرية التي تؤرخ لتجربته التشكيلية، تكشف عن قدرته المتقدمة على الرسم والتلوين واعطاء الأشياء المصبوغة حضورا جماليا تشخيصيا يستمد دعائمه التعبيرية من التراث البصري المغربي بأهم عناصره ومكوناته..

* ناقد تشكيلي من المغرب

■ أعددنا هذا النص بمناسبة مشاركتنا في تكريم الفنان أمين الدمناتي خلال النسخة الأولى للصالون الوطني للفنون التشكيلية المقام بمدينة الدار البيضاء خلال الفترة الممتدة بين 19 ايار (مايو) و12 حزيران (يونيو) 2005.

ليس هناك ما يسمى بالأدب العبري:

كتاب إسرائيلي يتحدث عن آداب عدة لمجموعات قومية مختلفة في إسرائيل

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من نائل الطوخي:

عندما تتحدث أقسام الأدب العبري في الجامعات المصرية، باطمئنان واسترخاء وثير، عما يسمى بـ«الأدب العبري»، فهي تقسمه وفق أجيال متعاقبة، تنمو بتسلسل منساب، بدون انقطاعات، وبدون تنافسات داخلية، والأهم، بدون مجموعات عرقية مختلفة، وانما فقط أجيال زمنية تنمو في اعقابها تيارات أدبية. لا يتعلق الأمر بسوء طوية، وانما ببلادة أكاديمية دفعت تلك الأقسام الى احتذاء خطى نظرائها في الجامعات الإسرائيلية، في القدس وتل أبيب، أقسام أرادت التكريس لفكرة صهيونية تقليدية، رأت في اليهود شعبا واحدا من متحدثي العبرية، وبالتالي فهم ينتجون أدبا واحدا، تتماسك عناصره ويتميز عن الآداب التي نشأ اليهود بينها في بلدانهم. يتصل أمر كهذا بالتفكير غير النقدي، الذي تربت عليه الجامعات المصرية، وأساتذتها الذين يحبون اظهار أنفسهم كمناضلين ضد الصهيونية في نفس الوقت مع عدم مساءلة أية مقولة صهيونية كبرى، وأولها مقولة «الأدب العبري». هذه المقولة التي شُرع في تفكيكها مؤخرا على يد أستاذ للأدب الإسرائيلي بالجامعة العبرية بالقدس.

في كتابه الأخير، «الارتخاء بغرض اللمس»، يتحدث دان ميرون عن مفهوم الأدب العبري، كيف نما وانطلاقا من أية دوافع تمت صياغة تلك الكتلة المصمتة المسماة بالأدب القومي. يتحدث عن رغبة صائغي الهوية الأدبية اليهودية في أن يحوزوا لأدبهم وحدة يرونها في الآداب غير اليهودية، الآداب القومية «الطبيعية» التي، لا تتسم أصلا، بوحدة ولا بصلابة كتلك. يقول: «هكذا تبدو لنا هذه الصلابة غير الموجودة كدليل على «طبيعية» أو علامة صحة ثقافية، علينا أن نسرع بحيازتها».

يفحص هذا الكتاب مفهوم الأدب الإسرائيلي، يحاول نقض ما شاع داخل إسرائيل من اعتباره أدبا واحدا، وبلمسة الساحر، يرده الى ما هو عليه، آدابا عدة لمجموعات عرقية مختلفة، تنتمي كل جماعة الى بلد أصلي. يتحدث ميرون عن الأدب القومي، أي الأدب الذي يتم تصوره في إسرائيل، والذي سعت لتصويره الصهيونية، على أنه ينتمي «لنا»، أي اليهود والإسرائيليين، فيتحدث عن النظرية القديمة للأدب الإسرائيلي والتي أملاها حلم الصهيونية ـ وبالمناسبة هو لا يذكر كلمة الصهيونية ـ بأن يكون اليهود شعبا «طبيعيا» من الناحية الثقافية، أي شعبا ككل الشعوب، وهو الحلم المرتبط تنفيذه بلم شتات الشعب سواء بالمفهوم الجغرافي الديمغرافي أو بالمفهوم الثقافي. هكذا يصل الى نتيجة مفادها أن «الحديث عن أدب يهودي موحد ومستمر في العصر الحديث هو حديث خال من المضمون، فليس في العصر الحديث الا آداب يهودية مختلفة وابداعات ذات عناصر يهودية تنتمي في نفس الوقت لآداب أصل غير يهودية، وفي نفس الوقت لقائمة واهية من الكتابة اليهودية.

ولذا فعلينا تبني نظرة ترى في التاريخ الثقافي لليهود وحدات مختلفة، منفصلة، هجينة، ولا تخضع بأي حال من الأحوال للتصنيف وفق أطر ذات معنى واحد». هذه الهجنة هي ما تتحاشاه أقسام الأدب العبري في الجامعات المصرية، محتذية في ذلك بالجامعات الإسرائيلية وأساتذتها المجندين للدفاع عن الهوية الإسرائيلية، مثل باروخ كورتزفايل وجرشون شاكيد، تتحاشى تصوير الاضطراب والانشقاقات الداخلية لمجتمع من المهاجرين يحاولون صوغ أنفسهم في «شعب» انصياعا لمقولة أيديولوجية كبرى، نشأت على مرأى من القوميات الأوروبية الكبرى، قوميات النار والحديد. يقول ميرون في هذه النقطة: «لم يمكّنا الوضع التاريخي من خلق بنى قوة اجتماعية وسياسية يهودية شاملة «أو حتى يهودية محلية» مستقرة، ولذا فلم يتواجد في الواقع اليهودي الحديث مفهوم له معنى واحد للأدب القومي وانما تواجدت به آداب «قومية» تنافس بعضها البعض».

لا يقدم دان ميرون فقط نقدا للتصور الصهيوني عن الأدب العبري وانما للتصور الصهيوني عن يهود ما قبل الصهيونية الذين لم يكتبوا بالعبرية وانما بلغة بلدانهم، وهم بالتأكيد لم يكتبوا أدبا عبريا، ففي سعي الصهيونية لخلق أدبها الخاص، المكتوب بـ«اللغة القومية» التي تصورت أنها لغة اليهود، وفي احتقارها لكل دعوات الذوبان بين الشعوب التي نادي بها بعض يهود القرن التاسع عشر فيما عرف بحركة التنوير اليهودية، قامت بالغاء ما قبلها تماما، أو بالأصح، قامت باحتكاره لصالحها، وهذا يعني أنها ألزمت اليهود بأثر ارتجاعي أن يكونوا صهيونيين، خالقة في هذا نموذجا جديدا للاقتداء، هو نموذج الصبار، اليهودي المولود في إسرائيل، اليهودي الجديد، المؤمن بالصهيونية، الذي يكتب بالعبرية، العنيف والجسور. هذا جيد من دان ميرون، وهو ناقد تخصص في الأدب الإسرائيلي والأدب المكتوب بالييدش «لغة يهود شرق أوروبا ووسطها في القرن التاسع عشر»، وبالتأكيد فقد درس كثيرا عن الانقطاع ما بين الأدبين «أدب الييدش والأدب الإسرائيلي»، حيث الأول أدب منفوي منبوذ، لا يتسم بالروح اليهودية القومية، بينما الثاني، وقد كتب بعد ارتباط الشعب المتأخر بأرضه القومية، على العكس تماما، هذا جيد منه أن يؤكد أنه حتى في الأدب الإسرائيلي لم تكن هناك أبدا «روح يهودية قومية» وهو ما نشأ أكاديميا على انكاره العنيف، هذا جيد أن يبين لنا ليس فقط كيف عملت مؤثرات كثيرة في أدب اليهود بل أيضا كيف لم تتوقف يوما عن العمل، وهي مؤثرات لم تكن أبدا مؤثرات قومية، على غير ما أرادت الصهيونية ومعها أقسام الأدب الإسرائيلي في المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية الآن أن يبينوا لنا.

يختار ميرون تفكيك الصهيونية من زاوية الأدب الإسرائيلي، لا يتطرق الى كافة المقولات التي بنت عليها الصهيونية رؤاها، وهو ما يجعل من بحثه عملا رقيقا، يتوج في نهايته بتبرؤ ميرون من تيار «ما بعد الصهيونية»، ذلك التيار الذي يفكك المقولات الصهيونية التقليدية ويراها وفق ما توافر حديثا من حقائق في أرشيفات المؤسسة العسكرية الإسرائيلية. يبدو أن تبرؤا كهذا هو ضريبة يدفعها المرء في إسرائيل لأجل الحفاظ على وضعه الاجتماعي، لكي لا يكون مستفزا الا بقدر، ألا يتخطى الحد المسموح به، فلهذا رجاله الذين لا يتمتعون بمنصب أكاديمي، ففيما يشبه سباق التتابع، تناول منه الراية الشاعر الإسرائيلي المعادي للصهيونية يتسحاك لاؤور، استطاع عبر عرض قام به للكتاب في هاآرتس أن يدفع بنظرية ميرون الى حدودها القصوى، الأكثر تطرفا كما يدعوها بعض الإسرائيليين ممن يخدشهم أي نقد لتصورهم عن ذاتهم وعما يريدون ان يكونوا. يتحدث لاؤور عن تصور الأكاديمية الإسرائيلية، والتي يسيطر عليها، بحسب لاؤور «منظومة، يقف على رأسها بعض الأساتذة، ليسوا أكثر من اثني عشر، عالمهم ضيق، ومعرفتهم محدودة، تربوا على ما قد قيل بالفعل، وما كتب بالفعل»، يفحص لاؤور تصور هذه المنظومة لمفهوم الأدب الإسرائيلي، الأدب الإسرائيلي التي تراه، وقد بدأ مجندا مع جيل الأدباء الذين حاربوا في 48 ثم انتهى عدمياً في أدب الشباب اليوم، أما لاؤور فيراه مجندا كله لخدمة المقولة الصهيونية الكبرى. يقول ان سؤالا عن «ماهية الأدب العبرية يتلقى دوما اجابة: هو ما يريد أن يكونه الأدب العبري: خلاص الشعب الإسرائيلي في أرضه. وفي الحقيقة فانه لدى قراءة نصوص تاريخية من «الأدب العبري» يبدو كل شيء وكأنه مباركة لله على أننا «نحيا ونكون». هذا يتجلى أكثر فأكثر في الاهتمام النقدي الحاشد بالأدب المكتوب عن الهولوكست، وعلى رأسه كتابات أهارون آفيلفيلد، فليس هناك شيء مهم في هذا الأدب الا أننا ما زلنا أحياء، حتى بعد الهولوكست. ليس هذا هو العَرَض الوحيد لتحجر أقسام الأدب في المؤسسة الأكاديمية الإسرائيلية. يقول لاؤور إنه غير مطلوب من دارس شعر العصر الذهبي لليهود في الأندلس أن يعرف العربية، وهي اللغة التي كتب بها الشعراء اليهود حينها أشعارهم. هذا أمر يتصل بجوهر الصهيونية، ليس فقط محاولة تصوير الأدب الذي كتبه يهود وكأنه أدب عبري بالضرورة وانما كذلك محو ذلك الجزء الشائن من تاريخ اليهود، والذي يشوش على الصورة التي تحاول رسمها لهم باعتبار ان العرب هم الأعداء البديهيون، لليهود وليس للصهيونية، وبالتالي تعميق الفارق الثقافي بينهما لصالح أهداف استراتيجية آنية، تتصل بالصراع الحالي، الذي لم يعشه بالتأكيد العرب واليهود في الأندلس.

تتوقف دراسة ميرون عند الأدب كما أسلف، ولا تحاول نقد ما يترتب على هذا، مثل الهوية القومية لليهود، الا في جمل عرضية، فيتحدث عن الهويات القومية الأوروبية التي أرادت الصهيونية الاقتداء بها وجعل اليهود «شعبا ككل الشعوب». يقول عن الصلابة التي تخيلتها الصهيونية في تلك الهويات، ومن ثم الآداب: «هذه الصلابة المثيرة للحسد، وعلى الرغم من أنها معيارية، أي أنه تم املاؤها على يد نماذج أيديولوجية، فهي ليست طبيعية أبدا، وفي الواقع فهي غير موجودة كذلك أبدا في أي مكان أو زمان». في أي زمان ومكان، هكذا يخفف ميرون من آثار كتابه عن طريق عزو هجنة كتلك الى كل آداب العالم وهوياته، وبدون تمييز بين مجتمعات نمت عبر قرون، وعبر حروب واقتتالات داخلية وهجرات متفرقة، وبين مجتمع مهاجرين صرف تم تشكيله تشكيلا بقرار سياسي. هكذا لا يكون من فرق بين المجتمع الإسرائيلي وسائر المجتمعات، حيث كلها تسعى الى الصلابة والتماسك المستحيلين. هنا بالتحديد يمكن للناقد الإسرائيلي اليميني آساف عنبري أن يسدد سهما صائبا للكتاب، في مقال بعنوان «العالم الروحاني لدان ميرون» في دورية «القوس الجديد»، بقوله: «اذا كان الوضع الثقافي المتشقق، المنقطع، الهجين، ما بعد القومي، أصبح هو الوضع الطبيعي لثقافة الغرب كلها، اذن فما هو «غير الطبيعي» في الكيان اليهودي في منتجه الثقافي؟» هذا صحيح، فطالما يتورع ميرون عن الاعتراف بأن القومية، ومعها الأدب، اليهوديين، هما أكثر هجنة وانقطاعا من سائر القوميات، أوروبية أو غير أوروبية، طالما لا يلاحظ أنه ليس هناك هوية تنشأ بقرار سياسي بانشائها، كالذي قدمته الصهيونية، يبقى عمله محافظا جدا، وغير ثوري كما أراد نقاده من اليسار أن يروا. يصبح «كل شيء طبيعياً وتمام» كما يتمنى أن يكون نقاده من اليمين، ويصبح الكتاب امتدادا لسلسلة نقد متواصل لـ«أدب العبري»، أي: مباركة على أننا نحيا ونكون، أننا شعب كسائر الشعوب، ولكن بشكل معكوس وحاذق هذه المرة.

ليس هذا هو كل شيء، ففيما سبق كان دان ميرون يدافع عن وجود هوية قومية لليهود، أما الآن فقد حدث تحويل للاتجاه: هو ينقد الهويات القومية التي أراد اليهود الاقتداء بها حتى يكونوا شعوبا «طبيعية»، غير أنه لا يتحدث عن الهوية اليهودية بتفصيل كاف، ودعنا لا ننسى أنه يتبرأ في نهاية كتابه من كونه بعد صهيونيا. هنا بالتحديد يمكن للناقد الإسرائيلي اليساري حانان حافير أن يدفع بأمنيته عن الكتاب الى ذروتها الراديكالية الأمثل، حيث النظرية الأساسية في الكتاب «لا تذهب الى النهاية، ففي نهاية الأمر هي تمتنع عن ابداء استنتاجات قاطعة، حيث هناك أمر واحد تركته غير محلول، وهو الهوية اليهودية نفسها». وهو الجهد الذي يبدو أن الكتاب لم يطمح اليه أبدا، أو أنه رغب ولم يجرؤ، مثل الكثيرين دائما.

قص

الخطايا والأمكنة الفارغة

محمد السمهوري*

■ الرب وحده يأخذنا في نهاية الامر:

صحيح أن الانسان يمكن أن يعيش مديناً، وتابعاً في الحياة، وذلك طيلة تنفسه وسيره على الارض، الا أن الرب هو المخلص الوحيد له.. يطلبه كما تطلب الزهرة الندى، كما تتزوج السنابل النسمات.

هكذا الاشياء يا بني، تعطي وتعطي.. وفي نهاية الامر لا يكون القرار بيدك انت «واشار الى نصف وجهه».

ثم نظر له وهو ينزل رأسه من أعلى بحركة التفافية نصف دائرية واستمر بصوت خافت وحزين، وكأن الكلام توقف في عنقه.

وعاد يقول وهو يحاول اسكات الشاب ليكمل كلامه:

سيأخذني الرب ذات يوم، أعلم ذلك، لقد مرنت نفسي على هذا الفعل الدائم، مرات عديدة. وفي كثير من الاحيان أتخيل اني لن اصحو من نومي «نظر للشاب وواصل حديثه»: تعرف ماذا اكون افعل في هذه الاثناء؟ امارس ذات العادات في مكان أوسع لا يوجد فيه جدران أو أبواب أو نوافذ أو إشارات ضوئية.

الكل يعرف مبتغاه، الحيوانات والنباتات والبشر. الكل يمارس دوره بشكل متقن، وكأن الجميع اصبحوا علماء ولا يوجد مقابل مالي أو معنوي.

لقد عشت حياتي ولا أزال لم اخلف تعاليم الرب، كنت (مت .. سامحا)، محبا، اتوزع بين المقاعد الخشبية المهترئة (اصلي) حين لا (يصلي) احد.

انظف الارضية واتابع خلافات الازواج واحاول حلها . كنت استمع الى قصص غريبة عجيبة لا تخطر ببال الشيطان نفسه لا أريد أن اقول والملائكة ايضا، لانهم كما هو معروف لا يفكرون او يبذلون أي جهد غير متفق عليه.

اعترف لي الجميع بخطاياهم، بممارسات خارجة عن نطاق رغبتهم كما قالوا.

قالت لي امرأة:

■ «إنها خانت زوجها مع رجل عابر سبيل ووصفت لي الحادثة بالتفصيل حتى أنها كانت تتأوه وتتنهد وهي تسرد لي خطيتها وكأن الرجل يجامعها خلف مسامعي».

وقال لي رجل إنه خان زوجته، وآخر أكل مال أيتام، وآخر سرق إرث إخوته.

سمعت ايضاً اعتراف رجل يمارس الشذوذ مع صبي، وامرأة ترفض تزويج ابنتها بسبب وجود علاقة غرامية وجنسية معها.

■ ماذا اقول لك أيضا:

«جاءني رجل مراب ـ هو قال ذلك عن نفسه ـ يريد تبرير ما يفعله لكنه يرفض ارجاع الاموال الحقيقية لاصحابها . وآخر صادر قطع اراضي الفلاحين بداعي انها تدخل في ترتيب مدينة تجارية ستنشئها البلدية. وآخر خان وطنه لانه يريد الوصول الى اهداف شخصية.

سمعت اعتراف رجل فقير قدم زوجته لرب عمله لأنه كان مهدداً بالطرد. وفتاة لم تجد من يعاشرها او يحبها اضطرت لفض بكارتها بيدها، وشاب تآمر على صديقه واخذ وظيفته.

جلس على ركبتيه امام الشاب ورأسه الى الاسفل:

■ هل تعتقد بأن الأمر سيختلف لو لم أصح بعدما أتخيل نفسي في عالم آخر.. قد يكون هذا العالم (الآخر) غريبا بعض الشيء لكن لن يختلف عما أنا فيه الآن.

ثم نهض وهو يمسك بيد الشاب، لا تستعجل، سأقول لك لماذا:

لأني تخيلت في حال عدم صحوي (هنا)، ما سأكون عليه (هناك)، لا أعرف إذا كنت سأقوى على مسح البلاط والصلاة بين المقاعد الفارغة أو مطاردة الحشرات ذات المواسم المختلفة، أو متابعة شؤون البقرة والكلب وبعض الدجاجات.

وبصوت خافت واصل حديثه: حتى كلبي العزيز صار كئيباً وضجراً ولا يستجيب لي حين اناديه، وهو الآخر اعترف أنه لم يعد يطيق هذه الحالة أو يأبه بأي شيء ولا يريد سماع كلامي حين نجلس قرب المدفأة، في الليل يشيح بوجهه عني طيلة جلوسنا . لم يعد ينبح، يجلس كما ترى.. انه كسول لدرجة الاشفاق عليه.

سأقول لك شيئاً آخر «سعل وكأن حنجرته مجروحة»، وعاد يكمل وهو «يتنحنح»، ماذا يريد الناس.. واجاب: هم لا يعرفون، على الاغلب أن كل الذين جاؤوني لم يرحموا أنفسهم أو حتى بعضهم البعض، خرجوا من هنا واستمروا في ممارسة كل ما فعلوه سابقا، هناك من كرر خطأه أكثر من مرة ونسي انه جاءني ووقف خلف تلك النافذة الصغيرة، او على الاغلب تناسى، فهم يبكون فقط، يعتصر قلبي حزناً عليهم، ويمضون لأعود لمسح البلاط من جديد، حين تمطر السماء اركض الى غرفة الاعتراف اتخيل انها هي الاخرى تريد التكفير عن خطاياها.

في بعض الاحيان لا اجد ما آكله .. أتوجه وأنا غاضب الى غرفة الاعتراف وحين اصل اعود من جديد اتذكر اني الذي يسمع الناس.

وأتساءل من سيسمعني؟!

كل يوم اذهب بعد تعب مضن للنوم وأتخيل حياتي في حال عدم صحوي في هذا المكان من جديد، قد تستغرب لو قلت لك إن هذا ـ البيانو ـ لم يعزف عليه أحد منذ تبرع به أحد الميسورين، بعد وفاة ابنته التي قتلت بطعنة من الخلف وهي تعزف عليه اثناء محاولة لصوص سرقة البيت.. لا أعرف العزف واخاف من الغدر.

أرتل وحيدا، أصلي وأنا أواجه المقاعد الخشبية المهترئة رغم ان هذا يخالف تعاليم.. لم اعد اثق بالفراغ.

هل تريد الاعتراف، لماذا اتيت الى (هنا)، اكيد ارتكبت خطيئة، استغرب انك تحملت وعثاء الوصول الى هنا لتقول ما قاله الآخرون انك عاشرت امرأة بشكل غير مشروع او انك سرقت او قتلت او.. او..

ساد صمت للحظات مما دفع الشاب للاجابة عن سبب حضوره فقال:

■ «انا يا أبت فقدت سمعي مذ كنت طفلاً بسبب جرعة دَواء خاطئة ذهبت الى كل الاطباء ولكن لم اجد نتيجة نصحوني ان آتي اليك..

* كاتب من الاردن

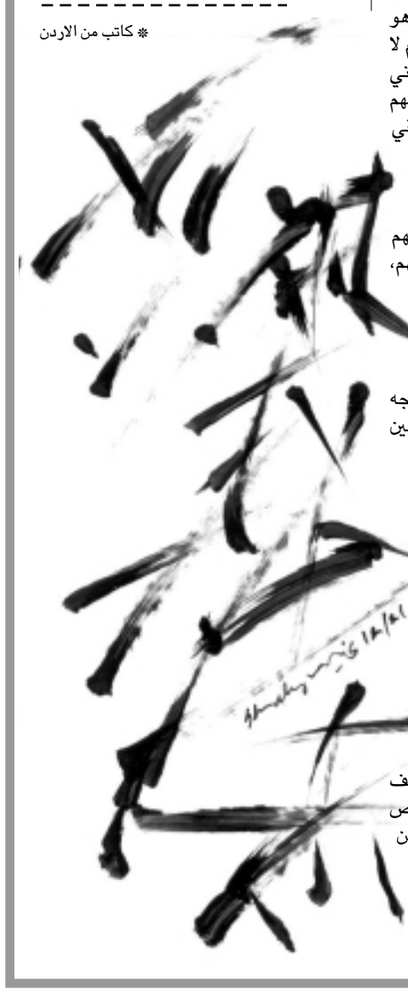

الافلام اللبنانية القصيرة ضيف شرف على مهرجان «كوتيه كور» الفرنسي

باريس ـ من هدى ابراهيم:

حلت الافلام اللبنانية القصيرة ضيف شرف على مهرجان افلام «كوتيه كور» الذي افتتح مساء الجمعة الماضي في ضاحية باريس «سين سان دني» ويقدم في تظاهرة تحت عنوان «حضور لبناني» 70 فيلما لبنانيا قصيرا انجزت بين عامي 1990 و2005.

ويهتم مهرجان «كوتيه كور» في دورته الخامسة عشر التي تستمر لغاية 9 نيسان/ابريل بتقديم التجارب الجديدة والمنفتحة على التجريب في مجال الفيلم القصير كما يركز على المواهب الشابة والمتميزة في مجال العمل السينمائي وفن الفيديو. وعن الحضور اللبناني، قال المندوب العام للمهرجان جاكي ايفرار انه كان في لبنان الصيف الماضي «حيث تمكنت من مشاهدة 40 فيلما في تظاهرة «نما في لبنان» انتجت في 2005 وكانت جيدة بعد ان شهدت السنوات العشر الاخيرة ولادة جيل شاب من السينمائيين في لبنان». واضاف ايفرار ان ما تتميز به هذه السينما الشابة اللبنانية «كونها لا تخضع لاي رقابة بالنسبة للمواضيع التي تطرحها وهي بالتالي سينما حرة تقوم على مبدأ التصوير الرقمي وتطرح اسئلة كثيرة حول البلد والهوية والثقافة واسئلة شخصية». واعتبر ان هذه السينما «فريدة في العالم لكونها ترتكز على مجموعة من الاشخاص ولكونها غير قائمة على صناعة سينمائية وصناديق دعم ومؤسسات: انها سينما خاصة تختلط فيها الاشكال الفنية احيانا». وشهد لبنان في التسعينات موجة انتاج للفيلم القصير اظهرت حيوية الشباب اللبناني وقدرته على العمل في ظروف انتاجية صعبة فاختار الفيلم القصير مساحة للتجريب والتجديد والكاميرا الرقمية وسيلة للتغلب على المصاعب المادية التي تعترض الانتاج.

وقد ساعدت كلفة الفيلم القصير التي تظل معقولة على ازدهار النوع ما ادى الى وصول بعض الافلام الى مهرجانات دولية.

كما تمكن قليلها من انتزاع جوائز رفيعة وآخرها الجائزة التي احرزها فيلم هاني تومبا «افتر شيف» الذي نال جائزة سيزار افضل فيلم قصير عام 2006 في باريس.

وتمكن الشباب اللبناني العامل في هذا القطاع منذ نهاية الحرب من ان يجعل الفيلم القصير مساحة ليس فقط للتجريب والتجديد بل لممارسة حريته في مواجهة هوية غير اكيدة تحمل في نسيجها العلاقة بسنوات الحرب وما جرته على اللبنانيين من جراح مفتوحة لم تندمل.

وظلت هذه السينما القصيرة تخلق نفسها في السنوات العشر او الخمس عشرة الاخيرة يوما بعد يوم وتحاول امتلاك لغة وصيغة لها وسط حيوية مشهودة للانتاج في هذا القطاع وفي ظل قدرة غريبة على تدبر الامور وبامكانيات بسيطة.

وتتيح هذه التظاهرة الاستعادية للسينما اللبنانية القصيرة مشاهدة بانوراما للنتاج اللبناني في الفيلم القصير طوال هذه السنوات حيث خاض الشباب عبر عدساتهم حربا في محاولات لتملك سيرة الحرب واسرارها.

ويمكن من خلال المواضيع التي طرحتها هذه الافلام تبين مدى انفتاح التجارب المقدمة على الاختبار والبحث ومدى تعبيرها عن التحول وامساكها بمفاتيح الفن الذي يتبدى بتعابير متباينة تشكل في النهاية صورة مكتملة للتجربة او بحثا عن اكتمال ما.

ومن بين الافلام المعروضة في المهرجان اعمال تتراوح بين الفيلم القصير التسجيلي والقصير الروائي والتجريبي وتجمع بين جيلين قدموا اعمالا في الفيلم القصير حيث هناك افلام لبرهان علوية ودانييل عربيد وحسن زبيب وزياد عنتر وفؤاد خوري المصور الفوتوغرافي اصلا. وتجاور هذه الافلام اعمالا لماهر ابي سمرا وجوانا حجي توما وخليل جريج ووسام شرف وهادي زقاق واكرم زعيتر ووليد رعد وربيع مروة.

ومن بين الافلام التجريبية فيلم لنينار اسبر اضافة لافلام ميشال كمون وايلي كنعان وليلى خليفة وليلى جريج ونسرين خضر وديما الحر وسنتيا شقير ومها حداد وجلال توفيق.

ويدوم مهرجان «كوتيه كور» عشرة ايام ويقدم نحوا من 250 فيلما قصيرا معظمها جديد في مختلف التظاهرات.

ويقام على هامش المهرجان معرض تجهيز بعنوان «3000 قطعة من لبنان» من تصميم جوانا وخليل حجي توما. والمعرض عبارة عن صورة عملاقة للبنان مقسمة الى 3000 قطعة يستطيع الزائر اصحاب قطعة منها ـ من لبنان معه. (اف ب)